جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

المرحلة: الثانية

المادة : تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي

عنوان المحاضرة: الفتوحات في بلاد المشرق

أسم التدريسي :م.د. وجيدة ممدوح يوسف

الإيميل الجامعي للتدريسي :wajiadh.mamdouh@tu.edu.iq

فتح اقليم ما وراء النهر

أطلق المسلمون اسم بلاد ما وراء النهر » على البلاد المعروفة الآن / باسم «آسيا الوسطى»

الإسلامية، وتضم خمس جمهوريات إسلامية، كانت خاضعة للاتحاد السوفييتى الذي انهار عام ١٩٩١، ثم من الله عليهم، فاستقلوا بعد انهياره وتقع بلاد ما وراء النهر بين نهر جيحون» (أمودايا) في الجنوب، ونهر «سيحون» (سردايا) فى الشمال وأهلها من أصول تركية، حلُّوا بها منذ القرن السادس الميلادى. وكانت هذه البلاد تتكون – عند الفتح الإسلامي – من عدة ممالك

مستقلة وهي

١ – مملكة «طخارستان»، وتقع على ضفتي نهر جيحون»، وعاصمتها «بلخ».

٢ – مملكة «الخُتّل»، وهى أول مملكة شمالي نهر جيحون»، وعاصمتها مدينة «هلبك».

٣ – مملكة «صغانيان»، وعاصمتها تسمى «صغانيان» أيضًا.

٤ – مملكة «الغد»، وعاصمتها مدينة سمرقند»، ومن أهم مدنها «بخارى».

٥ – مملكة «خوارزم» وعاصمتها مدينة «الجرجانية».

وكانت تُسمى هذه بالممالك الجيحونية، بالإضافة إلى عدة ممالك أخرى تقع على ضفتى نهر «سيحون»، سميت بالممالك السيحونية، وهي «الشاش»، و «أشروسنة»، و «فرغانة». وهذه الممالك كلها تم فتحها خلال عشر سنوات (٨٦ – ٩٦هـ) في خلافة «الوليد بن عبدالملك»، على يد «قتيبة بن مسلم الباهلى»، وبقوة دفع هائلة من «الحجاج بن يوسف الثقفى والي «العراق» والمشرق. مالي العراق والمشرق.

كان هذا الاقليم مطمعاً وحلماً للمسلمين كي ينشروا فيه الاسلام وذلك منذ عهد عثمان بن

عفان فأرسلوا اليه عدة غزوات لم تؤد الى نتيجة ما، وكان مقسماً الى عدة وحدات سياسية :مثل سمرقند وبخارى وعلى رأس كل منهما ملك من الترك، هم أشبه بمشايخ قبائل يحارب بعضهم بعضاً، مما نفع المسلمين في غزوهم، ثم فتح هذا الاقليم على يد قتيبة بن مسلم، وكان الحجاج قد ولاه خراسان.

قتيبة بن مسلم فاتح بلاد ما وراء النهر :

طرق المسلمون هذه البلاد عدة مرات منذ خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وغزاها عدد كبير من القادة المسلمين كان آخرهم المهلب بن أبي صفرة)، ولم تكن حملاتهم عليها للاستقرار الدائم والفتح المنظم، وإنما كانت لتعرفها ومعرفة أحوالها. وبدأت المرحلة الحاسمة فى الفتح والاستقرار مع تسلم قتيبة بن مسلم قيادة جيوش الفتح وولاية إقليم «خراسان» سنة ،(٨٥هـ)، وكانت الظروف مواتية له تمامًا، فالدولة الأموية كانت عندئذ في أحسن حالاتها استقرارًا وهدوءًا وثراء، فاجتمع لقتيبة مهارة القائد، وعزم الوالي «الحجاج» وتشجيعه، وقوة الدولة وهيبتها ، فكانت فتوحاته العظيمة في بلاد «ماوراء النهر». ولم يكن «قتيبة» قائدًا عسكريا فذا فحسب، بل كان إلى ذلك رجل دولة، وصانع سياسة وواضع نظم وإدارة ، فعمل بعد تسلمه أمور الولاية على القضاء على الخلافات العصبية التي ، كانت تعصف بالقبائل العربية في «خراسان»، من جراء التنافس في الولايات، وجعه زعمائهم. ولم يكتفِ «قتيبة» بتوحي صفوف القبائل العربية تحت راية الجهاد، بنعمل على كسب ثقة أهل «خراسان» الأصليين، فأحسن إليهم، وقرَّبهم وتودَّد معهم، وعهد إليهم بالوظائف، فاطمأن الجميع إليه، ووثقوا به وبقيادته.

مراحل الفتح

مرت خطوات «قتيبة» في فتح تلك البلاد التي استمرت نحو عشر سنوات (٨٦ – ٩٦هـ)

عبر مراحل أربع هي:

المرحلة الأولى (٨٦– ٨٧هـ):

وفيها أخضع قتيبة بن مسلم» إقليم طخارستان»، الواقع على ضفتي نهر جيحون»، ويبدو أن أوضاعه لم تكن قد استقرت للمسلمين تمامًا، منذ أن فتحه «الأحنف بن قيس» في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكانت تلك بداية ناجحة، فبدون توطيد أقدامه في طخارستان» لم يكن ممكنا أن يمضي لفتح «ما وراء النهر » ، وأصبح يتمتع بهيبة كبيرة في تلك البلاد؛ فما إن يسمع الملوك بمسيره إليهم حتى يسرعوا إلى لقائه وطلب الصلح.

المرحلة الثانية (٨٧– ٩٠هـ):

وفيها فتح «قتيبة» إقليم «بخارى»، بعد حروب طاحنة، وانتظام حملاته عليها، وكان الغزو يحدث في الصيف، لأن شتاء تلك البلاد كان قاسيًا شديد البرودة على العرب، لكنهم صبروا – وجاهدوا حتى تمَّ لهم الفتح والحقيقة أن جهل أهل البلاد بالإسلام، وتصورهم أن المسلمين جاءوا للاستيلاء على خيرات بلادهم هو الذي جعلهم يقاومونهم، لكنهم لما عرفوا أن المسلمين ليسوا غزاة، وإنما هداة يحملون إليهم الإسلام أقبلوا على اعتناقه والإيمان بمبادئه. يقول المستشرق المجري أرمينوس فامبري»: «إن بخارى التي قاومت العرب في البداية مقاومة عنيفة، قد فتحت لهم أبوابها لتستقبلهم ومعهم تعاليم نبيهم – صلى الله عليه وسلم – ، تلك التعاليم التي قوبلت أول الأمر بمعارضة شديدة ، ثم أقبل القوم عليها بعد ذلك في غيرة شديدة، حتى لنرى الإسلام الذي أخذ شأنه يضعف اليوم في جهات آسيا الأخرى، وقد غدا في بخارى اليوم – (١٨٧٣م) – على الصورة التي كان عليها أيام الخلفاء الراشدين».

٢٣ – المرحلة الثالثة (٩٠– ٩٣هـ):

وفيها أكمل فتح حوض نهر جيحون» كله، وتوج عمله بالاستيلاء على «سمرقند»، أعظم

مدائن ما وراء النهر كلها .

المرحلة الرابعة (٩٣) – ٩٦هـ):

وفيها عبر «قتيبة» نهر «سيحون»، وفتح الممالك السيحونية الثلاث: «الشاش»، و «أشروسنة»، و «فرغانة»، ووصل إلى إقليم «كاشغر» الذي يلامس حدود «الصين»، التي تهيأ لفتحها لولا أن وفاة «الحجاج» سنة (٩٥هـ)) وبعده الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة (٩٦هـ)، جعلته يتوقف عند هذا الحد، لكنه أجبر ملك «الصين» على دفع الجزية له مع رسوله إليه هبيرة بن المشمرج الكلابي».

وقد أصبحت تلك البلاد جزءًا مهما وعزيزا من العالم الإسلامي نشأت فيه مراكز علمية وحضارية مثل «سمرقند»، و «بخارى» و «جرجان»، وغيرها وخرجت عددا هائلا من علماء المسلمين الذين ملأت أسماؤهم سمع الدنيا وبصرها . فقد خرج قتيبة اولاً الى "بلخ" واحتلها سنة ٨٦هـ ، ثم غزا بيكند سنة ٨٧هـ ولكن أهلها انتهزوا فرصة غيابه في الصفد وغدروا بعامله وقتلوه فاضطر

الى الرجوع اليهم وهزمهم وغنم منهم مغانم كثيرة بعد ان فتح المدينة عنوة، وفي سنة ٨٨هـ واصل فتوحاته فكان النصر خليفه في بلاد كرمينية

وفي سنة ٨٩هـ استولى على بخارى بعد عناء شديد واستخدم في جيشه كثيراً من اهلها، وفي سنة ٩٣ هـ استولى على ،خوارزم ثم فتح سمرقند بعد قتال شديد، وبفتحها وطد مركزه في بلاد ماوراء النهر وقرر مد حدود الدولة العربية في أواسط آسيا، وعبر نهر جيحون حيث التقى بجيش مؤلف من عشرين الف مقاتل من بخارى وخوارزم وغيرهما، وفي العام التالي سار الى فرغانة وهو الأقليم المتاخم لبلاد ،تركستان، ومنها تابع السير حتى وصل جنده على نهر سيحون ولقي مقاومة ولكنه انتصر انتصاراً باهراً .

فتح خوقند وقشغز في سنة ٩٥ هجرية

ولم يكتف قتيبة بما احرزه من انتصارات وبما فتحه من بلاد ماوراء النهر، بل مضى قدماً يتابع فتوحاته، بينما هو في الطريق جاءه خبر وفاة الخليفة الوليد فلم يثنه ذلك عن مواصلة الغزو بل ظل في سيره حتى قرب من حدود الصين، واذ ذاك ارسل الى ملكها وفداً يعرض عليه شروط التسليم، وبعد مفاوضات طويلة اضطر ملك الصين الى ان يقدم له الخضوع ويدفع الجزية

وهكذا اصبح هذا الاقليم كله تحت سلطان الدولة العربية وسلك العرب في معاملة اهل هذا الاقليم نفس السبيل التي سلكوها في الأقاليم الاخرى التي سلكوها في الأقاليم الاخرى التي فتحوها فشجعوا أهله على اعتناق الاسلام حتى اعتنقه كثير من الترك. وتتضح اهمية هذا الاقليم اذا علمنا أن كثيرين من علماء المسلمين من امثال البخاري والفارابي والخوارزمي قد ظهروا فيه .

فتح جرجان وطبرستان

تولى يزيد بن المهلب ولاية خراسان في سنة ٩٧هـ بعهد من الخليفة سليمان عبد الملك، فتطلع يزيد الى فتح جرجان وطبرستان، فابتدأ بهقستان و دخلها صلحا بعد قتال شديد ثم واصل زحفه الى جرجان فصالحه اهلها ايضاً ولم يبق امام يزيد سوى التقدم نحو طبرستان الواقعة الى جنوب من بحر قزوين وأورد المؤرخ ابن الاثير ان الاصبهبذ حاكم طبرستان ارسل الى يزيد يعرض

عليه الصلح على ان ينسحب المسلمون عن البلاد، الا أن يزيدا اصر على اقتحام طبرستان وكانت مدينة شديدة الحصانة، وبادر الى وضع خطة للهجوم تقضي بتقسيم قواته الى ثلاثة اقسام لمهاجمتها من ثلاث نواحي، فتحرج موقف حاكم طبرستان فارسل يستنجد بجيرانه الديلم واهل جيلان فزحفوا لمساعدته بجموع كثيفة، واشتبكوا مع قوات يزيد في معركة عنيفة انتهت بهزيمة المسلمين، وعلى أثر هذه الهزيمة نقض اهل جرجان الصلح مع المسلمين، فاضطر يزيد الى ابرام الصلح مع الاصبها على ان يدفع هذا الاخير مبلغا من المال نظير عودة المسلمين وعدم تعرضهم لبلاده، فتفرغ يزيد بذلك لمواجهة اهل جرجان واستغل خروج حاكم المدينة بالجيش الى البحيرة للقاء المسلمين هناك تنفيذا النصيحة الاصبهبذ ، ودخل يزيد جرجان ثم ترك بها حامية صغيرة وسار لمواجهة قوات المدينة المعسكرة عند البحيرة فحاصرها ستة اشهر انتهت بتسليم البحيرة بالاضافة الى جرجان غير ان اهل جرجان حسب رواية البلاذري مالبثوا ان غدروا بالحامية الاسلامية المرابطة في المدينة فعاد يزيد لقتالهم وحاصرهم سبعة اشهر اقتحم جرجان ووضع الخراج والجزية على اهلها

فتح اقليم السند:

اذا تحدثنا عن اقليم السند، فلا بد ان نذكر محمد بن القاسم الثقفي، وهو من اقرباء الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان محمد بن القاسم عاملاً على مكران. عهد اليه الحجاج في غزو بلاد الهند لاعتداء بعض القبائل الهندية على العرب المقيمين هناك، فسار اليها سنة٨٩ هـ وتمكن من احتلال اهم بلدانها حتى بلغ نهر السند وهناك التقى بملك السند حيث لا كان هو وجنده يقاتلون على ظهور الفيلة، وانتهى القتال بهزيمة ملك السند وقتله، وبذلك استطاع محمد بن القاسم أن يمد حتى وصل الى الملتان في جنوب بلاد البنجاب ودخلها. وكانت هذه البلاد وثنية، ثم عم النفوذ الاسلامي بلاد الهند، وتاخمت تلك البلادالدولة العربية، ووجد بذلك اتصال بين البلدين مما كان له اثر كبير، فان كثيراً من علوم العرب كالفلسفة والرياضيات نقلت من الهند واقتبست عنها

ويرجع اهتمام المسلمين باقليم السند الى خلافة معاوية بن ابي سفيان، ففي سنة٤٤هـ قاد المهلب بن أبي صفرة عدة حملات ضد الاراضي الواقعة بين كابل والملتان ووصل الى بلدة لاهور، ثم واصل الولاة من بعده حملاتهم في اقليم السند من ناحية سجستان، وتم فتح مكران والقندهار، ووصلت حملاتهم الى البوقان والقيقان على ان فتح هذا الاقليم اخذ طابع الجدية والتنظيم بعد

تولي (محمد بن القاسم الثقفي هذه المهمة من قبل الآف من جند الشام بالاضافة الى الاعداد الكبيرة الحجاج بن يوسف الثقفي الذي سير معه